صياغة العقيدة
وجدلية التراث والعصر

أ.عطري بن عزوز جامعة الجلفة

تمهيد

في الماضي كان الكتاب يكتب باليد ، و تحمل الكتب على الجمال ، واليوم يكتب الكتاب بالكمبيوتر بسهولة ويسر ثم ينسخ في قرص مدمج يستوعب ملايير الكيلوبايت بما يقابل أطنانا من الكتب ويطبع منه ملايين النسخ في دقائق ، وينشر عبر العالم في أيام معدودات ، بل في ساعات ، وربما في دقائق .

كل هذه الاختراعات والاكتشافات المذهلة غيرت خصائص المجتمع ، وكيفت عقله وفكره ،فكيف يمكن للتراث جملة أن يستوعب هذا العصر ويحل مشاكله المعقدة ، ثم لا ننسى أن الفرق والمذاهب الفكرية عبر هذا الزمن بحسناتها وسيئاتها قد حجبت عنا القرآن بتأويلاتها وأفكارها التي اختلطت بأفكار أخرى فارسية ومجوسية ويهودية ونصرانية ، مع أن حجتهم تقول أن منظومتهم المعرفية استمدت من القرآن ، ولكنهم عندما استكملوا تراثهم الفكري ابتعدوا عن القرآن ،كما فعلت المعتزلة الذين استلهموا الفكر العقدي في البداية من القرآن ، ثم كانت الأفكار الفلسفية التي ترجمت بطريقة فيها كثير من التحريف والتكييف ، كان لها الأثر السلبي على الفرق الإسلامية حيث قُدم العقل عن النقل . هذا بالإضافة لما تعرضت له السنة من الوضع لتشويه العقيدة .

وكائناً ما كانت المبررات ، فلا يسع مسلم أن يفصل بينه وبين قرآنه فاصل أو يحول بينه حائل ، خصوصا وقد وصل إلينا القرآن سالما من التحريف ، وكذلك السنة قد بانت معالمها ، وخرجت من تلك الهجمة الخطيرة التي تعرضت لها ، و صنف علماء الحديث أحاديثها بطريقة مبتكرة وبارعة .

وعودتنا إلى القرآن والسنة مباشرة ، لا تعني ضرورة إطراح التراث جانبا ، بل يجب الاستفادة منه و الأخذ بما تفتقت عنه عباقرته من اجتهادات وابتكارات .

ولا ننسى أن تراثنا هو خليط من الأفكار منها الأفكار الميتة ومنها الأفكار المميتة ومنها الأفكار المطبوعة ، ومنها الأفكار الموضوعة كما يقول الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله ، في كتابه "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي " فمنهم من أبدع في هذا التراث ومنهم من نقل ومنهم من قلد ، وفرق بين من أبدع ونقل وقلد .

فالدعوة إلى التجديد وصياغة العقيدة الإسلامية ، تتطلب جهود الجميع في وضع الأسس والوسائل والمضامين التي من شأنها أن تساعد الصياغة في واقع التحديات ، فالمطلوب من الفكر العقدي أن يعالج المشاكل بمرجعية عقدية لكل سلوك ، وتتوقف على الوعي بالأسباب والدواعي وطبيعة المشاكل وهذا ما نرجوه في معالجة هذه الإشكالية ، بطرح هذه المسألة على بساط البحث العلمي الجاد من المختصين في مجال العقيدة .

والعقيدة الإسلامية : هي ما تضمنته من معاني الإيمان بالله تعالى وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب .

فالعقيدة لها مفهوم إيماني عملي ، فالاعتقاد الذهني النظري لا يمثل العقيدة الإيمانية إلا إذا اكتمل بما يؤدي إلى العمل الصالح قال تعالى(**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**)[1]

مفهوم التراث :

التُّراثُ: ما يخلفه الرجل لورثته، والإِرْث أَصله من الميراث . وقال ابن منظور نقلا عن ابن الأعرابي : الوِرْثُ والوَرْثُ والإِرْثُ والوِرَثُ والوِرَاثُ والإِرَاثُ والتُراثُ واحد ، وقال الجوهري : الميراثُ أصله مِوْراثٌ انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، والتُراثُ أصل التاء فيه واو[2]. وقد ورد لفظ الميراث في القرآن في قوله تعالى : { **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** }[3]

فالتراث هو الذي وصل إلينا من الماضي وله خاصية الفعل والتأثير في حياتنا, وعلى أفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا , بالمعنى الوظيفي للتراث ، ومن هنا جاءت الجدلية التي وصفت تارة بجدلية التراث والعصر, وتارة أخرى بجدلية التراث والحداثة, أو بجدلية التراث والتجديد. فالتراث هو من جهة ينتمي إلى الماضي من حيث النشأة والتكوين, ومن حيث الإطار الزمني والتاريخي, ومن جهة أخرى هو مؤثر في العصر, وفي حياتنا الفكرية بالذات , ومؤثر فيها بقوة تفوق العديد من المؤثرات التي تنتمي إلى عصرنا. وهذا ما يستوقف الانتباه في النظر إلى التراث.

ومنهج البحث في العقيدة الإسلامية يعتمد على دراسة دلائل المسائل التي تذهب إليها كل فرقة من الفرق من حيث مصادرها ، وطريقة الاستدلال لها ، وموقفها من مصادر غيرها ، وطريقتها في دراسة العقيدة .

ويقول الشيخ ابن باديس رحمه الله (..وما دام الكلام في الإيمان فهاته وانظر كيف فهمه السلف ، ومن أي معين استقوا فهمه ومن أي أفق استجلوا حقائقه ، ثم انظر كيف فهمه الخلف ومن أين سقطت عليهم هذه الفهوم السخيفة ، ثم أرجع كل معلول إلى علته بلا إجهاد للذهن ولا انضاء للقريحة)[3].

ونجد هذا المنهج ماثلا في التراث الإسلامي ، غير أنه دخله بعض التشويش والتحريف ، يحتاج إلى التمحيص و تخليصه من الشوائب ، والقرآن العظيم وحده يملك التصور المنهجي والمعرفي البديل على مستوى كوني حيث اتخذ القرآن الكريم من الظواهر الطبيعية التي يشاهدها الناس في حياتهم اليومية منهجا للوصول إلى الهدف المنشود ، وهو

---

(1) سورة يونس (09)

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، مج : 2 ، ص : 200

(3) سورة الأعراف (137)

(3) ابن باديس ، مجالس التذكير ..، دار البعث ، الجزائر 1982 ، ط:1 ، ص : 25

تثبيت العقيدة والإيمان في نفوس الناس ، فكانت تلك الظواهر الكونية شهود الإثبات في قضية الألوهية والوحدانية والوجود ، قال تعالى: (**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**)[1] .

والقرآن هو القادر على مجابهة وتحدي تلك المناهج المعرفية والعلمية التي تستهدف الدين الإسلامي ، ومنهجه هو الذي يصلح أن يواجه التحديات المعاصرة وذلك لأن القرآن الكريم يخاطب الإنسان كله نفسيا وروحيا وعاطفيا وعقليا فيخاطب القلب والعقل والوجدان ، بأسلوب يساير الفطرة ويشعر كل إنسان في أعماق نفسه بالاستجابة له والإصغاء إليه ، حتى الملحد بعقله ، وهو منهج يوافق كل الناس باختلاف مشاربهم .ويحاول أن يوقظ الفطرة الكامنة في النفس الإنسانية وينميها ، ويصلح ما اعتراها من فساد الشرك ، وانحراف في التصور ، ولا يكتفي بالمشاعر الإيمانية بل يتحول إلى السلوك العملي الواقعي حيث يقول : (**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار**)[2] فالكون يبث دلائل القدرة والحكمة .

و كان الصحابة ﷺ على عقيدة صافية نقية ، استمدت صفائها من منهجية صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، وكانت تلك المنهجية المتبعة في غرس العقيدة في النفوس ، تعتمد على التلقي من أجل التنفيذ والتطبيق في الواقع ، وليس التنقيب عن أبعاد الألفاظ التي لم يألفها العرب ، وكانت تلك المنهجية في التلقي والتطبيق تفتح لهم الآفاق من الفهم والمعرفة ، وتحدث مزجا بين الروح والعقل وتنفذ إلى أعماق القلب فتنشرح لها النفس ويستجيب لها الوجدان ، وهذا المزج يتحول إلى منهج واقعي عملي يتجسد في حياة المسلم ، ويكون طاقة إيمانية جبارة تخترق الجبال والمصاعب . ونقصد بمنهجية التلقي ، تلقي العقيدة أو الإيمان من مصادرها الأصلية ومنابعها الصافية ، والابتعاد عن الأمور الغيبية التي تهدر الوقت والجهد والفكر ، ولا نقصد التلقين والحفظ دون الفهم ، لأن تلك المنهجية التلقينية دون الفهم ، تعطي مفهوما خاطئا عن حقيقة العقيدة أو الإيمان ، ولا تحرك الفكر والوجدان كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي : (في السابق كانت العملية التدريسية في مجال العقيدة لا تعدو عن كونها عملية تلقينية، وأنا أحد الأشخاص الذين تعرضوا لمثل هذا التدريس، ولكنني كنت أقف ضد ذلك وأعارضه، فمثلا حاولت أن أفهم الفرق بين صفة الحياة وكون الله عز وجل حيا، وأنه سميع وكونه سميعا، وحتى اليوم لم أفهم. كنا في الأزهر نتلقى العقيدة بشكل تلقيني ونحفظ متونا في العقيدة عن ظهر قلب. وظللنا ندرس الجملة الأولى من متن الجوهرة في التوحيد مدة طويلة!! وهذا أمر في واقع الحال لا يفيد بشيء...إن هذا الأسلوب التلقيني الذي يعتمد على الحفظ الخارجي لا يعطي مفهوما حقيقيا للعقيدة، ولا يحرك الفكر والوجدان لدى الإنسان. لقد كان الأزهر وغيره من المدارس في السابق يعتمدون أسلوب التلقين في تدريس منظومات لا تفيد شيئا؛ لأنها تعرض قضايا قديمة شغلت الناس في عصر معين مضى؛ لذا

(1) سورة الذاريات (20-21)

(2) سورة آل عمران (191)

كان لزاما علينا اللجوء إلى التجديد والتحديث حتى نتمكن بالفعل من تكوين مفهوم حقيقي للعقيدة وتكوين عقيدة واضحة للمسلم.)[1] .

وهذه الصياغة المطلوبة في العقيدة الإيمانية ، هي عملية دقيقة وخطيرة لما يترتب عليها من نتائج هامة . إن ثمة مزالق وعقبات أمام هذه العملية ومن أبرزها :

التأثر بالمجتمع المعاصر في الفكر والعادات والانطلاق من أفكاره أو عاداته ومحاولة تأويل النصوص الإسلامية لتوافقها ، أو تسلل بعض الأفكار من خلال التعابير الحديثة ، كما حدث سابقا حينما ظهر علم الكلام ، وتسرب المصطلحات الفلسفية للعقيدة الإسلامية .

التأثر بالفكر التقليدي في المجتمع الإسلامي أي بأفكار أو أساليب القرن الماضي مما لا يلزمنا الإسلام به ولا سند له من كتاب أو سنة على سبيل المثال.

التسرع في الاستنباط من نص أو أكثر من غير استقصاء للنصوص الواردة في الموضوع أو عدم استيفاء العناصر اللازمة للقدرة على الاستنباط[2] .

واقع درس العقيدة الإسلامية :

فدرس العقيدة الإسلامية لا يجب أن يتحول إلى وعظ وإرشاد واستعمال العبارات المسيلة للدموع بالحديث عن عذاب القبر ، وما ينتظر كل عاصي أو كافر دون أن نقدم شيئا تطمئن له القلوب من روح هذه العقيدة السمحة بأسلوب علمي يقتنع به الآخر ، فينبغي أن يكون الدرس العقدي يساير ثقافة العصر الذي نعيش فيه ، فهذا العصر لا يؤمن إلا بما أنتجه العلم ، ولذلك وجب أن نجابه الإلحاد والكفر بسلطان العلم ، والسبيل هو أن تشتمل مناهج الدراسة في المعاهد والمدارس والجامعات على الزاد العلمي المنهجي ، بأن نعيد صياغة دروس العقيدة الإسلامية بما يتماشى والتطورات العلمية الحاصلة دون أن نمس بالثوابت .

والكلام على واقع درس العقيدة يجرنا إلى الحديث ولو باختصار عن المرحلة التي سبقته قبل الوصول إلى هذا الواقع ، فلو عدنا إلى الوراء ، وبداية نجد أن الرسول ﷺ وهو المدرس والمعلم الأول ، كان يقدم دروسه للصحابة ﷺ من غير تكلف في الأسلوب أو تعقيد في المصطلحات ، والقرآن الكريم قد احتوى على الآيات المحكمات والآيات المتشابهات ، والمحكمات هي التي لا تحتمل إلا معنى واحد ، والمتشابهات ما تحتمل أكثر من معنى ، وكان المسلمون في العصر الأول ، يسلمون بهذه الآيات ويعتقدون بها من غير أن يتساءلوا عن مرادها ، وبعد الفتوحات الإسلامية

---

(1) موقع يوسف القرضاوي ، ثمانية أسس لدراسة العقيدة . آخر تحديث:15:23 (مكة) الأحد 09 ذو القعدة 1425هـ -19/12/2004م
http://www.qaradawi.net/2010-02-01-08-43-29/4544.htmle.

(2) محمد المبارك ، نظام الإسلام العقائدي ، ص: 48-49

ودخول الفلسفة والتراث اليوناني ، في شتى حقول المعرفة ، بدأت التساؤلات فيما تشابه من الآيات ، ما معنى السميع ؟ وكيف يكون ؟ وما معنى الرحمان على العرش استوي ؟ ... إلى غير ذلك من التساؤلات .

ولكن أكثر العلماء توقفوا في تفسير المتشابه لما ورد في قوله تعالى : (➔ **هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**)[1]

وقد بينت الآية بصراحة ووضوح الانحراف الذي وقع ، والذي فتح الباب على مصراعيه لكثير من التساؤلات التي أبعدت الناس عن العقيدة الصحيحة النقية ، وأمسى همّ الناس هو الاهتمام بالمصطلحات اللغوية التي امتزجت بمصطلحات فلسفية يونانية وفارسية وهندية ، أكثرها مترجمة من مترجمين يهود ونصارى وصابئة كما ثبت ذلك في التاريخ الإسلامي ، وهكذا عجت العقيدة بالمصطلحات الفلسفية الرنانة فتعقدت وانحرفت عن منهج القرآن والسنة في تدريس العقيدة الإسلامية . والأخطر من ذاك أنها فتحت الباب لأجيال من بعد ذلك توسعت في المسائل العقدية التي كانت معدودة في بداية عهدها ثم تكاثرت وتشعبت حتى في المناهج والسبل .

وواقع العقيدة اليوم يرجع لمشكلتين أساسيتين :

الأولى : حدوث الانفصال بين أصول العقيدة الإسلامية ومناحي الحياة المختلفة ، أو نقول انفصال الكلمة عن السلوك ، وأمست حقائق العقيدة أفكار ذهنية مجردة ، غايتها في ذاتها ، وليست غايتها تحديد العلاقة بين الإنسان وخالقه ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان ، وبينه وبين نفسه ، بتعديل السلوك وترقية الأخلاق والالتزام بالمعاملة ، لأن الإيمان هو تصديق وإقرار والتزام ، فالتوحيد الذي كان يطبع حياة المسلمين كلها ، تشريعا وآدابا وفنونا وعمارة ، أمسى منحسرا في الأذهان ولم يعد له وجود في الحياة العملية ، وهذا ما نجده عند الشباب المتدين الآن ، يحفظون التوحيد بأنواعه توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، ثم إذا نظرت إلى المعاملة تجد الغلظة والشدة مع الناس وحتى مع الوالدين إلى غير ذلك من التصرفات التي تبتعد كليا عن روح العقيدة الإسلامية .

والثانية : الغزو الثقافي والتقليد الأعمى، الذي استهدف العقيدة الإسلامية أساسا ، ومظاهرها السلوكية في الحياة ، وهو يشبه غزو المذاهب والأديان والأفكار الفلسفية والمجوسية التي تعرضت له العقيدة في القرن الثاني ، حيث حمل هذا الغزو الأيديولوجي كل الوسائل التي تحقق أهدافه ، فاستعملت الفلسفة المادية لنشر أفكار إلحادية ، وما يسمى بالخيال العلمي والنظريات العلمية ، ووسائل الإعلام لنشر الأفكار ومظاهر الحياة الغربية ، فإذا به غزو

(1) سورة آل عمران (7)

كاسح وشامل ، أثر في العقيدة والسلوك . فأصبحت العلمانية والحداثة اهتمام كثير من النخب المثقفة والشباب الإسلامي ، وهي مبثوثة في مناهج التعليم والثقافة والاقتصاد والسياسة .

وفي غياب منهج علمي محكم ، يدَرّس من خلاله دروس العقيدة الإسلامية في المدارس والمعاهد والجامعات على اختلاف تخصصاتها ، ظهرت محاولات فردية غير مؤهلة ، تسببت في تعدد المناهج والسبل ، معظمها ينطلق من الذات والقناعات الشخصية ، تُخضع الدين لعقلية أو ذهنية مقولبة ومعولبة تنطلق من خلفيات أو توجيهات غير مؤسسة علمياً ، وإنما جاءت بمحض التقليد والانبهار بالآخر ، انتجت لنا جيلا من المتعلمين أو المتعيلمين على حد قول ابن باديس رحمه الله الذي حذرنا منهم بقوله : (فاحذر من كل (متعيلم) يزهدك في علم من العلوم ، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسان ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة ، وخدم علماء الإسلام بالتحسيس والاستنباط ما عرف منها في عهد مدنيتهم الشرقية والغربية حتى اعترف بأستاذيتهم علماء أوروبا اليوم .) [1] .

فكم من مسيىء خدعته نفسه ، فظن القبيح حسنا ، واستنبطه عقيدة ، ودعا إليه مذهبا ، ومضى في دروب الحياة يظهر به ويقاوم ما عداه ! قال تعالى : (**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**)[2] ، فكل تدين يجافي العلم ، ويخاصم الفكر ، ويرفض عقد صلح شريف مع الحياة هو تدين فقد كل صلاحيته للبقاء[3]

إذن فالواجب هو ملء الفراغ بمناهج علمية رصينة متدرجة ، تحل فيها الدروس الأكاديمية المنتقاة المحققة ، محل الثقافات المشوشة ، وهذه المحاولة لها مشكلتين أساسيتين

- مشكلة خروج جيل من الشباب لهم حماس إيماني شديد للطاعة والتدين ، لكن بمفاهيم خاطئة ، ناتجة عن قلة العلم والتفقه ، والقصور في شمولية فهم النصوص ،
- مشكلة الجهل بالأحكام الأساسية للدين ، وعلى الخصوص العقيدة و الإيمان حيث يتخرج الطالب من المعهد أو الجامعة وهو يجهل هذه الأساسيات في العقيدة والعبادة ..فقد روي عن جندب بن عبد الله ﵁ قال : (**كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزَاوِرَة* فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن ، فازددنا به إيمانا**)[1] وهذا يعني التدرج في المنهجية بتقديم الأهم فالأهم أثبت على القلب حفظا وفهما .

---

(1) ابن باديس ، أيها المسلم الجزائري ، جريدة الشهاب ، العدد : 94 ، 23 /8 / 1926 م

(2) سورة الكهف (103-104).

(3) محمد الغزالي ، ركائز الإيمان بين العقل والقلب ، دار الشروق ، القاهرة 2002 ، ط: 2 ، ض : 22

* وهو الذي قارب البلوغ

(1) رواه ابن ماجة في المقدمة (باب في الإيمان) 1 : 23 ، وسنده صحيح

فينبغي تصحح المفاهيم بتعريف الطالب بالمنهج السوي في التفكير الإسلامي، المبني على الفهم الصحيح للإسلام ، مع بيان المناهج الأخرى الدخيلة ، وتعليم سلامة المنهج ، لأنه يجنب الأمة الخراب والدمار الفكري ، والفرقة والانقسام .

لأن من أخطر ما يستهدف العقيدة الإسلامية في هذه الأيام ، هو الحملة التي يقودها بعض من يسمون بالتنويريين أو التقدميين أو الحداثيين عبر وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية ، فيظهرون في التلفاز على أنهم رواد النهضة وحملة مشعل التقدم ، حيث يطرحون قضية علاقة الوحي ومعارفه بالواقع ، إنهم يجعلون من الغرب قدوة لهم ، ويعتبرون الوحي أداة لتقييد العقل ، وأن الزمن قد تجاوزه ، لأن هذا العصر هو عصر العلم ، وأن الله فكرة وهمية أخترعها الإنسان ، والوحي يجب أن يخضع للواقع ويتطور مع تطور العلم ، فقد شاهدنا في التلفاز من يقول أن حجاب المرأة رمز التخلف ، وأن عدم المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث ظلم يجب التخلص منه ، والمشكل أن بعض الباحثين من الشباب تأثروا بهذه الآراء التي أخذوها منهم ، نتيجة تأثرهم بالمصطلحات المستوردة من كتابات المستشرقين عن الإسلام ، فالوحي عندهم قيد حركة العقل ، وهو رمز الرجعية والتخلف ، وإذا أردنا أن نتقدم يجب أن نتخلى عن الوحي ، أو نخضعه للواقع ، والقرآن قد عبر عن هذه الحالة بقوله تعالى : (**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**[2]

العقيدة و التراث :

إذا كان التجديد المنهجي أحد المطالب الأساسية لمشروع الإصلاح الإسلامي المعاصر، فإن بيان المرجعيات المنهجية وأسسها النظرية التي ارتبطت بها تيارات الفكر الإسلامي المعاصر، وتطبيقاتها في دراسة قضايا العقيدة والتراث، والموقف من تفسير النصوص والموقف من الحركات الفكرية والعقدية التي زخر بها التراث الإسلامي ، لهو أمر يسهم في تأصيل العلم والمعرفة المستمدة من التصور الإسلامي المبني على النظرة النقدية التقويمية.

وطرح إشكالية علاقة العقيدة بالتراث من الأمور التي أصبحت ملحة من الناحية المنهجية والعلمية ، وذلك من أجل تحرير العقيدة مما علق بها من سيئات التراث ، التي كانت سببا في إعاقة دورها الفعال في حياة المسلم ، فقد آن الأوان لكي نفكر في منهج علمي موضوعي نمحص به تلك القراءات التمجيدية أو التبخيسية للتراث وطرح علاقة هذا التراث بالجانب العقدي . وذلك من أجل الخروج من وضع التخلف الذي يعيشه العالم العربي بالخصوص والأمة الإسلامية عامة اليوم ، وهو وضع يملي علينا نوعا من الجدية في التفكير في الحل وكيفية التعامل مع هذا التراث.

---

(2) سورة فاطر (8)

كما نعلم أن حل إشكالية العلاقة بين التراث والعقيدة من جهة ، والعلاقة بين العقيدة والعصر من جهة أخرى ، يساهم كثيرا في حل الصراع الحضاري، لأن ذلك يعني البحث عن الذات، وفي الوقت الذي نحدد العلاقة ، فإننا نقوم ببناء التراث من جديد على أسس صحيحة بعد أن نزيل قوالبه الفاسدة والفكر الإسلامي المعاصر، قد عرف إشكالات كبرى، وتساؤلات ما زال صداها إلى عصرنا الحاضر ، منها ما يدور حول علاقة الله بالإنسان، وعلاقة الجبر بالاختيار، والنص بالواقع، والنظر بالعمل. وإشكالية النهضة والصحوة، والتقريب بين المذاهب.. وغيرها كثير .

فالدرس العقدي المعاصر يعاني من مشكلة منهجية، فضلاً عن مشكلة تعدد التيارات الثقافية المختلفة، وازدياد الحاجة إلى صياغة علمية ومنهجية ، للمواقف التي اتخذتها الفرق من مسائل الدين والتراث بصفة عامة.

ولعل عدم اتخاذ موقفا حاسما من مسألة تحديد العلاقة بين العقيدة والتراث في ضوء المصادر الأصلية ، هو الدافع إلى انتشار فرق جديدة ساهمت بقوة في الأزمة الفكرية والحضارية التي تعاني منها الأمة ، وبالمقابل انتشار مواقف علمانية ، تدعو إلى إلغاء التراث بالجملة ، و الهجوم على الأنساق العقدية التقليدية ، ولذلك فإن إعادة ترشيد الفكر العقدي الإسلامي الحديث، وتخليصه من الشوائب التي علقت به ، والعودة به إلى صفاء النبع الذي صدر عنه، لهو أمر واجب على الباحثين عن التجديد وبناء الحضارة من جديد ، باعتبار أن العقيدة هي أساس الدين، وهي بالتالي المحدد الأصلي للهوية الإسلامية، وهي المحرك الأساسي لحركة التحضر، فإن الإصلاح العقدي هو المدخل الرئيسي لإعادة البناء الحضاري للأمة الإسلامية في العصر الراهن، والمستقبل الآتي، وحيث إن طريق هذا الإصلاح شاق وطويل، نظراً لبعد المسافة بين المسلمين وبين النموذج الأصلح بسبب ما طرأ على عقائدهم من التشويش والخلط والانحسار، والآراء؟ الشخصية التي احتواها التراث ، فقد وجب التنبيه في هذا المقام على مقدمات أساسية ينبغي استحضارها لصياغة الإصلاح العقدي المطلوب وموقفه من التراث ، وتتمثل هذه المقدمات في جملة أمور:

1) **تجديد الوعي** : محاولة فهم الظروف الجديدة التي أوجدها التقدم العلمي والتقني ، وفهم التحديات الجديدة الناشئة عنه والاستجابة الراشدة لها[1]

2) **تحديد المفاهيم** : ونعني به اتخاذ موقفا حاسما من كثير من المصطلحات التي وردت في التراث واعتبرت على أنها من أصول الدين ، في الوقت التي هي تخالف نصوص القرآن والسنة ، وقد ساهم علماء الكلام وفلاسفة الإسلام بحظ في الترويج لها، الأمر الذي انتهى بمفهوم العقيدة إلى الانفصال عن الحياة ، وأمست العقيدة مجرد مصطلحات فلسفية معقدة وآراء كلامية ، بعيدة عن حياة المسلم

(1) عبد الكريم بكار ، تجديد الوعي ، دار القلم ، دمشق 2010 ، ط:3 ، ص : 5

وتنقية العقيدة من هذه المصطلحات ، إنما هو من باب إرجاع المفاهيم إلى نصابها الحقيقي، وإحلالها في التصور على الوضع الذي جاءت عليه في نصوص الوحي، والذي كانت عليه في أذهان أوائل المسلمين . ومن هذه المفردات ما يتعلق بقضايا خلافة الإنسان في الأرض، والقضايا الاجتماعية والتشريعية.. التي غابت عن الوعي العقدي الإسلامي نتيجة ذلك الانحسار في مدلول العقيدة نفسها.وتفعيل مصطلح **الإيمان** القرآني.

3) **ترشيد منهج التفكير والنقد** : على اعتبار أن الأزمة التي تعاني منها الأمة الآن هي أزمة تفكير ، وسوء استخدام لأدوات العلم والمعرفة ، لأن بتوفر العقلية أو الذهنية الإسلامية الحقة نستطيع أن نصل إلى صياغة منهجية لحضارتنا نواجه بها التحديات المعاصرة ، ونعطي بديلا حضاريا للأزمة الراهنة التي تهدد البشرية بأكملها .
4) **وصل الأمة بتراثها البَناء** : لأن الأمة تعرضت إلى قطع صلتها بتراثها الفاعل البَناء ، وتحويله إلى مجرد تراث تاريخي احتوى على صراع فكري وسياسي ، واستظهار المواطن السلبية فيه ، مما جعل أبناء هذه الأمة تتخذ موقفا سلبيا منه . فلذا وجب دراسته من جديد وتنقيته وتنمية النافع منه ، وإحياء الجيد . وخصوصا ما يتعلق بعقيدة الأمة .
5) **تفعيل حب القراءة** : إذ كيف لأمة **اقرأ** لا تقرأ وهي أول كلمة تنزل من السماء إلى الأرض ، فيتوجب التفكير في السبل التي بها تشحذ الهمم نحو قراءة القرآن قراءة تدبر، لا قراءة تأويل بتحريف الكلم عن مواضعه، بحثاً عن الرأي الموافق ، فيصرف النص عن مراده الشرعي إلى مراد مذهبي خاص .وإنما تكون القراءة شرعية بأن تراعى قواعد التفكير والتدبير .
6) **الصياغة العقدية للأفكار**: بمعنى صياغة الفكر الاسلامي صياغة عقدية بحيث تبدو فيه روح العقيدة

سارية في معانيه وألفاظه ، وفي هيكله العام و مؤطرة له في كل مساراته في شتى ميادين المعرفة . بحيث تكون هذه الأفكار لها تأثير على العقل والنفس والوجدان ، التي تعمل على تزكية الروح والنفس فلم يكن بناء العقائد مفصولاً عن طبيعتها التربوية الروحية في الوعي العقدي لدى الجيل الإسلامي الأول، الذي تلقى مفردات العقيدة من مشكاة النبوة. لقد كانت مبادئ التوحيد ممتلئة بمعاني الخوف والرجاء والحب والشوق... إلخ. فقد كانت العقيدة تتوجه ببساطة عبارتها وصفاء أفكارها إلى فطرة الإنسان العاطفية فضلاً عن تفكيره السليم، وكان العقل نفسه وظيفة من وظائف القلب غير مفصول عنه.

عموماً، فإن نهضة الأمة الإسلامية اليوم رهينة بإنجاز تجديد شامل، يقوم على رؤية واضحة وبسيطة وواقعية: تعود إلى مرجعية القرآن والسنة، وفهم منهجي بدون تأويل ولا تعطيل ولا تفويض، وبدون تحريف ولا اختزال، وتقدم تجديداً في منهج عرض العقائد، وربطها بواقع البشرية اليوم، بهدف إصلاح الأمة والنهوض بشأن خلافة الإنسان في الأرض.

الرؤية التطبيقية :

رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ، تعد من كتب العصر الحديث ، وكان محمد عبده مفكرا عميق الغور ، شديد التواصل مع عصره ، وفي كتابه رسالة التوحيد يمس جوهر العقيدة الإسلامية ، إذ يتحدث فيها عن علاقة الإنسان بخالقه ، وعلاقته بالدين كمنظم للعقيدة والسلوك ، وعلاقة الإنسان بنفسه ، ومن بين القضايا التي نتوقف عندها قضية الجبر والاختيار ، التي عنيت بها الفلسفات القديمة والحديثة ، وتكلم عنها علماء الكلام وفلاسفة الإسلام في كتب التراث ، وهي في عصرنا الحاضر مثار تساؤلات طلبة الجامعات عن حظ الإنسان من المسئولية تجاه ما يصنع ، حيث أجاب عنها الأستاذ محمد عبده إجابة شافية ، فيقول في رسالة التوحيد : (كما يشهد سليم العقل والحواس من نفسه أنه موجود ، ولا يحتاج في ذلك إلى دليل يهديه ، ولا معلم يرشده ، كذلك يشهد أنه مدرك لأعماله الاختيارية ، يزن نتائجها بعقله ، ويقدرها بإرادته ، ثم يصدرها بقوة ما فيه ، ويعد انكار شيء من ذلك مساويا لإنكار وجوده ، في مجافاته لبداهة العقل) فالإمام محمد عبده يعتمد على الملاحظة العملية ويحرك الفطرة بشهادة الحواس ، وهذا هو منهج القرآن في تعامله مع العقيدة الإسلامية إثباتا وتثبيتا ، فالإنسان حر يفعل ما تمليه إرادته وما تدفع إليه رغبته ، وكل ذلك واقع بعلم الله تعالى و مشيئته ، فالإنسان قد يطلب رزقا فيفوته ، أو يسافر يريد أمرا فيسقط في مهلكة .. فيعود بالملائمة على نفسه بأنه لم يحكم النظر في تقديره ، فيعاود العمل بطريق أقوم وبتقدير أحكم ، وفي الأخير يتجه إلى أن في الكون قوة أسمى تدبر الأمور ، إنما إرادة الخالق وتقديره وقضائه ، فتوضيح الإمام محمد عبده لهذه القضية بأسلوب سهل مقنع ، قريب من الفطرة والواقع المشاهد ، و بعيد عن الخطاب الفلسفي المعقد الذي ورثناه من التراث ، وقد احتوى على كثير من المصطلحات الفلسفية والكلامية .

فما أحوجنا إلى بعث تراث حديث يتماشى ومقاصد القرآن والسنة ويجمع بين الأصالة والمعاصرة بحيث تبدأ العملية بفحص التراث الإسلامي وتفكيك معارفه وتميز النافع من الضار بالرجوع إلى المفاهيم التأسيسية الموحاة من الله تعالى في كتابه ، لإدراك مواقع الاتصال والانفصال بين العلوم ومقارنتها بالواقع الحديث[1] ، بالضبط مثل ما حدث عندما انتشر الإسلام شرقا وغربا واتصل بميراث الحضارات السابقة ، انشغل بتغيير موروث تلك الحضارات وتكييفها والبحث عن أصالتها في الإطار الإسلامي ، وبما يتفق مع العقيدة الإسلامية ومبادئ التوحيد ، وهذا يعني أننا إذا أردنا أن نفهم جوهر العلوم الإسلامية يقتضي فهم مبادئ الإسلام العقدية . ذلك أن التراث دخله كثير من التحريف والتأويل

العقيدة والعلم الحديث :

(1) أبو بكر محمد إبراهيم ، التكامل المعرفي وتطبيقاته ..، المعهد العالمي ، فرجينيا 2007 ، ط: 1 ،: ص107

يذكر الدكتور موريس بوكاي في كتابه " القرآن والإنجيل والتوراة والعلم "-منذ صفحات المقدمة وحتى الأسطر الأخيرة من الكتاب—إلى تأكيد مسلمة جوهرية قوامها: أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث. ويقول : (أن القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية ..وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية ..وأنه مبادئ القرآن الصريحة تأمر دائما بالرجوع إلى العلم والعقل اللذين يسمحان بنفي صحتها على ضوء حقائق القرآن(2) .

فالمتخصصون في مجال العقيدة الإسلامية يواجهون الآن مسؤولية تاريخية في مواكبة المشكلات العقدية التي طرأت على الساحة الإسلامية ، وهذه المشكلات تختلف في شكلها أو مضمونها عن المشكلات التي واجهت القدامى من علماء العقيدة ، الذين قاموا بدورهم ودافعوا عن العقيدة الإسلامية بالأدلة النقلية والعقلية وردوا على المبتدعة والمنحرفين بأسلوبهم الذي يناسب عقولهم وفكرهم ، وراعوا واقعهم ونجحوا في ذلك إلى أقصى .

والمسلمون في العصر الحديث يواجهون إلحادا من نوع آخر ، هو إلحاد مغلف بالعلمية ، وهو أبعد عن العلم والمنطق الصحيح ، إنه إلحاد يستخدم حتمية المادة ، واحتمالات الرياضيات لتأثير الصدفة في نشأة الكون وامتداده ، وحتمية التطور من أجل اجتثاث الإيمان ، كما يواجهون فرقا تختلف عن سابقتها ، تدعي الإسلام الحق ، وترمي غيرها بالضلال والكفر ، ومن خلال هذه الفرق يواجه المسلمون سوء الفهم لأصول العقيدة الإسلامية .

ذلك أن أصعب مهمة تواجه الأمة الإسلامية اليوم ، هي مشكلة المنظومة التعليمية ، فلا إحياء حقيقي للأمة ما لم يعاد صياغة التعليم ، صياغة تتوافق مع عقيدته و ثوابته ، وتزيل ازدواجية التعليم ، لأن النظام التعليمي في الإسلام هو نظام تعليمي واحد ، ينبع من مشكاة واحدة هي روح عقيدة المجتمع فتكون العقيدة الإسلامية هي المهيمنة عليه ومسيطرة على جوانبه وميادينه العلمية والمعرفية ، ويكون لدرس العقيدة الإسلامية الدور الفعال في لم شمل كل العلوم التي تدرس في المعاهد والجامعات ، والوصول بها إلى ما يسمى التكامل المعرفي .

فواقع التعليم اليوم ينذر بالخطر القريب والمدمر لجذور المجتمع ، وتفكيك بنيته الأساسية ، ما لم نستدرك الأمر قبل فوات الأوان ، إذ كيف يعقل أن تشتمل المنظومة التعليمية على أفكار ومفاهيم غريبة تقدم إليهم باسم العلم والمدنية الحديثة ، أو باسم الحرية الفكرية ، وتصاغ على شكل حقائق علمية قائمة على أسس موضوعية ، أثرت فعلا على تفكير التلميذ أو الطالب الجامعي وجعلته يستسلم لهذه الادعاءات اللادينية ويتقبلها ، وقد حدث هذا لأحد الطلبة الذين كنت أدرسهم علوم الشريعة ، ولما ذهب إلى قسم الفلسفة وكان يدرسهم أحد المتأثرين بنظرية داروين التطورية ، فجاءني بعد سنوات يناقشني في هذه النظرية مؤمنا بها ، بعد أن أنجز بحثا فيها وهو يجادلني ليقنعني بصحتها

(2) موريس بوكاي ، القرآن والإنجيل والتوراة والعلم ، مكتبة مدبولي ،القاهرة 2004 ، ط:2 ، ص : 16

. مما فهمت أن الطالب قد تعرض إلى التخريب على مستوى الوعي والفكر ، فلا غرابة بعد ذلك أن يصبح ذا نزعة مادية ، فيمسي لا هو مسلم ينتمي لعقيدته الإسلامية ولا هو غربي ينتمي إلى عقيدة أخرى ، فيقع فريسة سهلة لأعداء الدين .

وحتى في جامعاتنا ومعاهدنا الدينية نجد الغريب والعجيب إذ كيف يشتمل درس العقيدة على دراسة فرقا إسلامية اندثرت كالكرامية والنظامية والخياطية وغيرها ، وتترك دراسة فرقا حديثة أثرت تأثيرها بالغا في المجتمع ، كانت سببا في إعاقة تقدمه وتحضره ، وذلك بإعطاء صورة مشوشة ومشوهة للمجتمع الإسلامي وللغرب عن حقيقة الإسلام ، فنجد أكثر هذه الفرق

ومعنى هذا أن درس العقيدة الإسلامية أو الإيمان يبدأ من الوحي ويصب فيه ، فهو ينطلق بمنهج القرآن والسنة ، وهما المصدران الأساسيان للعقيدة الإسلامية ، مرورا بالعقل ، الذي هو الأداة الأساسية لفهم خطاب الوحي ووسيلة للتفكر في مخلوقات الله التي هي آثار دالة على الخالق ، فينسجم العقل مع الوحي بصورة تكاملية تآلفية من أجل تأمل الحقيقة الإلهية المطلقة في رحاب الكون والإنسان ، وهكذا نصل إلى الغاية النهائية وهي الإيمان اليقيني الذي لا يتزعزع ولا يهتز إذا ما واجهته الأزمات والتحديات ،وباتباع هذا المنهج القرآني تثبت العقيدة في القلوب ، كما هو مبين في الشكل.

فمثلا مسألة التوحيد ، التي هي أعظم مسألة في دروس العقيدة ، عند تقديم الدرس لها ، ننطلق من معارف الوحي ، الذي يدلنا على أقصر الطرق وأنفعها دون أن نضيع الجهد الفكري والوقت الثمين لكي نصل إلى الهدف من الدرس العقدي ، ونستخدم في ذلك معارف العقل من أجل البرهنة والاستدلال بالمشاهادت من الآثار الدالة على الخالق ، سواء المحسوسة منها أو المجردة ، ثم نعود مرة أخرى إلى الوحي الذي يخرج درس العقيدة من صبغته العقلية المجردة إلى صبغة وجدانية عاطفية تتفاعل معها النفس والقلب ، ويكون لذلك الدرس التأثير الفعلي ، حيث ينطلق الإنسان من الحالة الإيمانية النظرية إلى الحالة الإيمانية العملية .

فالعقيدة الإسلامية إذن هي في خدمة العقل ، والعقل في خدمتها، ولا تناقض بينهما ، إن وعي كثير من الناس اليوم مغيب عن هذه الحقائق وهذه الوظيفة الجوهرية للعقيدة الإسلامية ، إذا ما أسست على وجهتها الصحيحة وعلى المنهج القرآني .

فالقرآن يدعو إلى التفكير العقلي قبل الإيمان ، فبعد تتبع الآثار الدالة على الخالق من خلال مخلوقاته ، وحصول الاطمئنان في القلب ، هنا تنتهي مهمة العقل ، بعدها تأتي مرحلة الوحي الذي له دور المعرفة بالخالق والأمور الغيبية .

و من هنا يتوجب على المتخصصين في العقيدة أن يواكبوا هذا التطور الخطير ، ويفكروا في كيفية صياغة العقيدة الإسلامية صياغة علمية دقيقة تتماشى مع الأسلوب العلمي ، والمنهج القرآني الفريد ، مع الحفاظ على الثوابت والمنصوص عليه من الأدلة الشرعية . ذلك أن صياغة العقيدة الإسلامية وتفعيل دورها ، يؤدي بدوره إلى إعادة صياغة الإنسان الحضاري ، ويمكن أن نجمل دواعي صياغة العقيدة وتجديدها بما ذكره الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله- حين ذكر سبب تأليفه لكتاب " عقيدة المسلم " نذكر منها بعض المقتطفات باختصار : (..بين المسلمين اليوم نزاع يفصم وحدتهم حول ما دار بين علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة في مسائل الخلافة ..لماذا نقحم هذه الأمور إقحاما في شئون العقيدة ، ولماذا لا تبقى في نطاق الذكريات التاريخية نأخذ منها العبرة ، وما صلة ذلك بالإيمان بالله واليوم الآخر ..وقد بذلت جهدي – حين تصديت لتصوير عقيدة المسلم – أن أتجنب أشواك هذا الخلاف ..وإذا كان علم التوحيد (العقيدة) على النحو الذي وصفنا ، فإن كتبه التي تشيع بيننا الآن فشلت في أداء رسالتها شكلا ومضمونا . فمن ناحية الشكل لا معنى البتة لعرض علم ما في توزيع مضطرب بين متن وشرح وحاشية وتقرير ، وفي لغة ركيكة اللفظ ، سقيمة الأداء ..فهل يبقى الكلام في العقائد حكرا على النمط الزري من الحواشي والمتون على أننا إذا تغاضينا عن الشكل ، وتعرضنا للجوهر بالنقد والتمحيص ، لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب الإلهي من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم ..ويبدو أن الأسلاف الباحثين في هذه الناحية من الإسلام قد فتنهم الإعجاب بما نقله إليهم التراجمة من ثمرات العقل اليوناني ..ومن العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية ، وتطوي الصفحات الطوال ، فلا تكاد تعثر على آية أو حديث ..)[1] .

ونقول للذين يتخوفون من التجديد ويرفضونه مطلقا باعتبار أن هدفه الأساسي تجفيف منابع العقيدة التي يظن أنها تغذي ثقافة العنف والتطرف ، لا يجب أن نقدس التراث ، لأن فيه ما يجب تنقيته وتجديده بما يوافق العصر الحديث ، ولا يختلف مع النص الصريح و ألا تتحامل على الغرب باعتباره شر كله . ولعل هذا تطرف يقابل تطرفا ، وكلا الطرفين مذموم . ولكن يجب أن نقف موقفا وسطا .

والعملية الإصلاحية تتطلب جهود الجميع في وضع الأسس والوسائل والمضامين التي من شأنها أن تساعد الصياغة في واقع التحديات ، فالمطلوب من الفكر العقدي أن يعالج المشاكل بمرجعية عقدية لكل سلوك ، وتتوقف على الوعي بالأسباب والدواعي وطبيعة المشاكل .

والأمة الإسلامية تعاني من الركود العلمي ، وغلبة النقل والتقليد وفقدان الإبداع ، والاستسلام للآخر ، وكان ذلك بسبب ما طرأ من تغيير على المفاهيم الإسلامية الأساسية ، وانحراف عن الاتجاه الإسلامي الأصيل ، وتغيير سلم الأولويات كما رتبها الإسلام في كتابه وسنته ، ودخول أفكار خارجية أقحمت مباشرة أو بالتأويل ، وما

---

(1) محمد الغزالي ، عقيدة المسلم ، نهضة مصر ، مصر 2004 ، ط : 4 ، ص : (6-9)

ابتدع في مجال العقيدة والعبادات ، مما أخل بعقيدة التوحيد التي هي محور الإسلام وجوهره وسبب قوته ، فما طرأ من تغيير كبير وانحراف وتشويه في مفهوم القضاء والقدر واعتباره استسلاما للواقع ، والتوكل واعتباره تركا للأسباب وإهمالا ، وللزهد واعتباره تركا للعمل والكسب ، وللعبادة وحصرها في الشعائر والمناسك دون سائر الأعمال.. ، إن هذه التغييرات أورثت ضعفا علميا واقتصاديا وعسكريا وسياسيا..[2] .

خاتمة

نحن في هذا العصر في أمس الحاجة إلى إعادة صياغة العقيدة ، صياغة تنطلق من المنبع الصافي والمصدر الأساسي لهذا الدين ، مرورا بحسنات التراث وما احتواه من فهم صحيح لهذا الدين وعلومه ، وانتهاءً بمعطيات العصر الحديث من علوم واكتشافات وصبغتها بصبغة إيمانية ، فحاجتنا للعلوم الإيمانية ، أكثر من حاجتنا إلى العلوم والمعارف المتراكمة المجردة الخالية من المسؤولية البعيدة عن الأهداف المرجوة ، فلا حاجة لنا بعلم يضر الإنسانية معنويا أو ماديا ، إنما المطلوب هو جمع معارف العقل بمعارف الوحي في إطار واحد تكاملي يسمى العلوم الإيمانية ، بعيدا عن المواجهة المباشرة ، أي مقابلة الإيمان للعلم ، فنقول لهم : عندنا الإيمان وأنتم كفرة ، ويقولون هم : عندنا العلم وأنتم متخلفون !! هذا الأسلوب لا يزيد الطين إلا بلة كما يقولون ، فنحن نعتقد أن العلم يساير الإيمان ولا يمكن أبدا أن يكون بينهما عداء . فالحل يبدأ من هنا ، وهو إصلاح المنظومة العقدية وتفعيل دور الإيمان في جميع العلوم من صياغة فكرية وعقلية للفرد المسلم ، وإعادة صياغة الإنسان المسلم المفكر الواعي بما يجري من حوله ، ذلك المسلم الذي يجمع بين الحسنيين : العلم والإيمان .

فالجانب الفكري إنما يقولبه البعد العقدي الذي يدفع به إلى الوجهة الصحيحة ، وإن لم يراعى هذا البعد فكل جهد إنما هو مضيعة للوقت والمال والجهد ، ونجد أنفسنا وصلنا من حيث بدأنا .



(2) محمد المبارك ، نظام الإسلام العقائدي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض 1995 ، ص : 10